بيوت المتقين

السنة السابعة

نشـــرة شهريـــة تهتـم بنشـــر الثقافـــة الدينـــية للمؤمنيـــن

تصدر عن: شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينية - العدد (٧٣) لشهر جمادى الآخرة لسنة ١٤٤١هـ

- لعن الله ظالميك يافاطمة
- تفاضل الرسل واختلاف الأديان
- الاستبداد ح٢

جامع الأحمدي
في بغداد

٣ جمادى الآخرة

شهادة الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام، سنة ١١هـ

اقــرأ في هــذا العــــدد

❖ وقفة فقهية

أحكام الغش والتزوير في الشريعة ص٦-٧

❖ مساجدنـــا

جامع الأحمدي في بغداد ص١٢-١٣

❖ الآداب الاسلامية

آداب النصيحة في الإسلام/ ح٢..... ص١٤-١٥

❖ عقائدنـــا

التوحيد ص١٨-١٩

العتبة العلوية المقدسة | قسم الشؤون الدينية | شعبة التبليغ

رئيس التحرير
الشيـــخ حـــازم الـــترابي

مدير التحرير
الشيـــخ وصـــفي الحلفـــي

هيئة التحرير
الشيخ رعـد العبـادي
الشيخ حازم الـــترابي
الشيخ حسين الهاشمي
الشيخ وصفي الحلفي

التدقيق
شعبة التبليغ الديني

التصميم والإخراج الفني
حســن المـوسـوي
ضـــياء نســيم

لعن الله ظالميك يا فاطمة

عن بشار المكاري، أنه قال: دخلت على أبي عبد الله (الصادق عليه السلام) بالكوفة، وقد قُدِّم له طبق رطب طبرزد (نوع من التمر)، وهو يأكل، فقال لي: «يا بشار ادن فكل»،

فقلتُ: هَنّاك الله وجعلني فداك قد أخذتني الغيرة من شيءٍ رأيته في طريقي أوجع قلبي، وبلغ مني،

فقال لي: «بحقي لما دنوت فأكلت»، قال: فدنوت وأكلت، فقال لي: «حديثك»

فقلت: رأيت جِلوازا (الجِلواز: الشرطي من أعوان السلطان) يضرب رأس امرأة يسوقها إلى الحبس، وهي تنادي بأعلى صوتها: المستغاث بالله ورسوله، ولا يغيثها أحد، قال: «ولم فُعِل بها ذاك؟».

قال: سمعت الناس يقولون: إنها

عثرت فقالت: «لعن الله ظالميك يا فاطمة»، فارتُكب منها ما ارتُكب،

قال: فقطع الأكل، ولم يزل يبكي حتى ابتلَّ منديله، ولحيته، وصدره بالدموع،

ثم قال: «يا بشار قم بنا إلى مسجد السهلة، فندعو الله ونسأله خلاص هذه المرأة».

قال: ووجّه بعض الشيعة إلى باب السلطان، وتقدّم إليه بأن لا يبرح إلى أن يأتيه رسوله، فإن حدث بالمرأة حدث، صار إلينا حيث كنا،

قال: فصرنا إلى مسجد السهلة، وصلى كل واحد منا ركعتين، ثم رفع الصادق عليه السلام يده إلى السماء وقال:

«أَنْتَ الله لا إِلَه إِلاّ أَنْت مُبْدِئُ الخَلْق وَمُعِيدُهُمْ وَأَنْتَ الله لا إِلَه إِلاّ أَنْت خالِقُ الخَلْق وَرازِقُهُمْ وَأَنْتَ الله لا إِلَه إِلاّ أَنْت القابِضُ الباسِطُ وَأَنْتَ الله لا إِلَه إِلاّ أَنْتَ مُدَبِّرَ الأُمُورِ وَباعِثَ مَنْ فِي القُبُورِ أَنْتَ وَارِثُ الأَرض وَمَنْ عَلَيْها، أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ المَخْزُونِ المَكْنُونِ الحَيِّ القَيُّوم، وَأَنْت الله لا إِلَه إِلاّ أَنْت عالِمُ السِّرِّ وَأَخْفى، أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي إِذا دُعِيتَ بِهِ أَجَبْتَ وَإِذا سُئِلْتَ بِهِ أَعْطَيْتَ، وأَسْأَلُكَ بِحَقِّكَ عَلى مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَبِحَقِّهِمْ الَّذِي أَوْجَبْتَهُ عَلى نَفْسِكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَنْ تَقْضِيَ لِي حاجَتِي السَّاعَةَ السَّاعَةَ، يا سامِعَ الدُّعاءِ يا سَيِّداهُ يا مَوْلاهُ يا غِياثاهُ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَو اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عَلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَنْ تُعَجِّلَ فَرَجَنا السَّاعَةَ يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ وَالأَبْصارِ يا سَمِيعَ الدُّعاءِ»

قال: ثم خر ساجدا، لا اسمع منه إلا النفس، ثم رفع رأسه فقال: «قم قد أُطلقت المرأة».

قال: فخرجنا جميعا، فبينما نحن في بعض الطريق، إذ لحق بنا الرجل الذي وجهنا إلى باب السلطان، فقال له: «ما الخبر؟ قال: لقد أطلق عنها»

قال: كيف كان إخراجها؟

قال: لا أدري، ولكنني كنت واقفا على باب السلطان، إذ خرج حاجب فدعاها، فقال لها: ما الذي تكلمتِ به؟

قالت: عثرت فقلت: لعن الله ظالميك يا فاطمة، ففُعل بي ما فُعل،

قال: فاخرج مائتي درهم وقال: خذي هذه، واجعلي الأمير في حِلٍّ، فأبت أن تأخذها، فلما رأى ذلك منها، دخل

واعلم صاحبه بذلك ثم خرج، فقال: انصرفي إلى بيتك، فذهبت إلى منزلها). المزار، للمشهدي: ص ١٣٧

أحكام الغش والتزوير في الشريعة

وفق فتاوى سماحة المرجع الديني الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني دام ظله

نهت الشريعة الإسلامية المقدسة عن الغش لما فيه من الآثار السلبية على الفرد والمجتمع وقد شدّدت الروايات الشريفة على النهي عن فعله

منها: ما قَالَه رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله لِرَجُلٍ يَبِيعُ التَّمْرَ: «يَا فُلَانُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّه لَيْسَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ غَشَّهُمْ». الكافي: ج٥، ص١٦٠، ح٢.

ومنها: قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «من غش المسلمين حُشِر مع اليهود يوم القيامة لأنهم أغشُّ الناس للمسلمين». الفقيه: ج٣، ص٢٧٣.

ومنها: ما ورد عَنْ أَبِي عَبْدِ الله (الصادق عليه السلام) «أنه دَخَلَ عَلَيْه رَجُلٌ يَبِيعُ الدَّقِيقَ، فَقَالَ: إِيَّاكَ والْغِشَّ، فَإِنَّ مَنْ غَشَّ غُشَّ فِي مَالِه، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَه مَالٌ غُشَّ فِي أَهْلِه». الكافي: ج٥، ص١٦٠، ح٤.

ومنها: ما نقله مُوسَى بْنُ بَكْرٍ قَالَ: (كُنَّا عِنْدَ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام فَإِذَا دَنَانِيرُ مَصْبُوبَةٌ بَيْنَ يَدَيْه فَنَظَرَ إِلَى دِينَارٍ فَأَخَذَه بِيَدِه ثُمَّ قَطَعَه بِنِصْفَيْنِ ثُمَّ قَالَ لِي: أَلْقِه فِي الْبَالُوعَةِ حَتَّى لَا يُبَاعَ شَيْءٌ فِيه غِشٌّ). الكافي: ج٥، ص١٦٠، ح٣.

ونذكر هنا جملة من المسائل الشرعية الخاصة بالغش وفق فتاوى سماحة آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني دام ظله

السؤال: اذكروا لنا ما ورد في حرمة الغش؟

الجواب: عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «مَنْ غشَّ مسلماً في شراء أو بيع فليس منّا»، وقال صلى الله عليه وآله: «ألا ومن غشّنا فليس منّا». قالها ثلاث مرّات. «ومن غشّ أخاه المسلم، نزع الله بركة رزقه، وأفسد عليه معيشته، ووكّله إلى نفسه».

وعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «مَرَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ بِطَعَامٍ فَقَالَ لِصَاحِبِه: مَا أَرَى طَعَامَكَ إِلَّا طَيِّباً، وسَأَلَه عَنْ سِعْرِه، فَأَوْحَى الله عَزَّ وجَلَّ إِلَيْه أَنْ يَدُسَّ يَدَيْه فِي الطَّعَامِ، فَفَعَلَ فَأَخْرَجَ طَعَاماً رَدِيّاً، فَقَالَ لِصَاحِبِه مَا أَرَاكَ إِلَّا وقَدْ جَمَعْتَ خِيَانَةً وغِشّاً لِلْمُسْلِمِينَ». الكافي: ج٥، ص١٦١، ح٧.

السؤال: ما هو تعريف الغش بالتفصيل؟

الجواب: الغِشّ حرام، (ويتحقق الغش في عدة موارد):

١- بإخفاء الأدنى في الأعلى كمزج الجيّد بالرديء.

٢- وبإخفاء غير المراد في المراد كمزج الماء باللبن.

٣- وبإظهار الصفة الجيّدة مع أنّها مفقودة واقعاً مثل رشّ الماء على بعض الخضروات ليتوهّم أنّها جديدة.

٤- وبإظهار الشيء على خلاف جنسه مثل طلي الحديد بماء الفضّة أو الذهب ليتوهّم أنّه فضّة أو ذهب،

٥- وقد يكون بترك الإعلام مع ظهور العيب وعدم خفائه، كما إذا أحرز البائع اعتماد المشتري عليه في عدم إعلامه بالعيب فاعتقد أنّه صحيح ولم ينظر في المبيع ليظهر له عيبه، فإنّ عدم إعلام المشتري من

قبل البائع بالعيب – مع اعتماد المشتري عليه – غِشّ له.

السؤال: ما هو حكم الغش في المعاملات؟

الجواب: الغِشّ وإن حرم لا تفسد المعاملة به، لكن يثبت الخيار للمغشوش بعد الإطّلاع، إلّا في إظهار الشيء على خلاف جنسه كبيع المَطْلِيّ بماء الذهب أو الفضّة على أنّه منهما، فإنّه يبطل فيه البيع ويحرم الثمن على البائع، هذا إذا وقعت المعاملة على شخصِ ما فيه الغِشّ، وأمّا إذا وقعت على الكلّيّ في الذمّة وحصل الغِشّ في مرحلة الوفاء فللمغشوش أن يطلب تبديله بفرد آخر لا غِشّ فيه.

السؤال: هل يجوز بيع الذهب المستعمل بنفس سعر الذهب الجديد للزبون، وبدون إشعار الزبون بان هذا الذهب هو مستعمل، مع العلم بان الزبون قد لا يسأل أحيانا عن كون الذهب مستعملا أم لا؟

الجواب: إذا كان المتعارف أو المتبادر إلى المشتري أن الذي يشتريه هو من الذهب الجديد، فلا يجوز عدم أخباره لأنه من الغش المحرم.

السؤال: ما حكم الغش في الاختبارات؟

الجواب: حرام بكل أنواعه.

السؤال: هل يجوز الغش في الامتحانات المدرسية إذا كان بعض المدرّسين هم الذين يساعدون الطلاب عليه؟

الجواب: كلا.

السؤال: هل يجوز الغش في الامتحانات بكل أشكاله؟

الجواب: لا يجوز الغش في الامتحانات المدرسية، سواء أكانت طريقة الغش بالتعاون بين الطلاب، أم بطريقة الأوراق السرية، أم من خلال مخاتلة المراقِب، أم غير ذلك من الطرق غير المشروعة، والمخالفة للنظام.

السؤال: هل يجوز الغش في المدارس الرسمية في أوروبا؟ وهل يجوز الغش في المدارس الأهلية الإسلامية أو غير الإسلامية؟

الجواب: لا يجوز الغش في شيء منها.

السؤال: هل يجوز للمدرس المشرف على الامتحانات الدراسية مساعدة الطلاب الممتحنين بإعطائهم معلومات عن إجابات الامتحانات؟

الجواب: لا يجوز إلا إذا سمحت له الإدارة.

السؤال: هل تصح المعاملة بالنقود الورقية المزوّرة؟

الجواب: تحرم ولا تصح المعاملة بالنقود الورقية المزوّرة، أو الساقطة عن الاعتبار، تلك التي يغش بها المتعامل الناس، إذا كان من تدفع إليه العملة جاهلا بأنها مغشوشة أو مزوّرة.

السؤال: هل يجوز استخدام أموال مزورة موردها من قبل دولة إسلامية؟

الجواب: لا يجوز التعامل بالنقود المزيفة التي يغش بها الناس.

التزوير

السؤال: إذا كنتُ بحاجة ماسة إلى تعيين واني راسب في الصف السادس العلمي ثلاث سنوات هل يمكن تزوير شهادة السادس لغرض التعيين؟

الجواب: لا يسوغ ذلك.

السؤال: هل يجوز تزوير شهادة فيها مصلحة يحددها العقلاء؟

الجواب: لا يجوز.

السؤال: ما هو حكم من استلم رواتب عن طريق تزوير المستمسكات الشخصية وكيف يتخلص من هذه الأموال؟

الجواب: يجب رده إلى الجهة الحكومية المأخوذة منها، فان لم يمكن تصدّق به على الفقير المتديّن.

تفاضل الرسل واختلاف الأديان

قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾. البقرة: ٢٥٣.

دور الأنبياء في حياة البشر

هذه الآية تشير إلى درجات الأنبياء ومراتبهم وجانبا من دورهم في حياة المجتمعات البشرية، تقول الآية: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾.

(تلك) اسم إشارة للبعيد، والإشارة إلى البعيد تستعمل أحيانا لإضفاء الاحترام والتبجيل على مقام الشخص أو الشيء المشار إليه، هنا أيضا أشير إلى الرسل باسم الإشارة (تلك) لتبيان مقام الأنبياء الرفيع.

واختلف المفسرون في المقصود بالرسل هنا، ولكن يبدو أن المقصود هم الأنبياء والمرسلون جميعا، لأن كلمة (الرسل) جمعٌ حُلِّيَ بالألف واللام الدالتين على الاستغراق، فتشمل الرسل كافة.

﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ يتضح جليّا من هذه الآية أن الأنبياء – وإن كانوا من حيث النبوة والرسالة متماثلين – هم من حيث المركز والمقام ليسوا متساوين لاختلاف مهماتهم، وكذلك مقدار تضحياتهم كانت مختلفة أيضا.

قوله تعالى: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ﴾ هذه إشارة إلى بعض فضائل الأنبياء، وواضح أن المقصود بالآية موسى عليه السلام المعروف باسم (كليم الله).

ثم تضيف الآية ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ ومع الالتفات إلى أن الآية أشارت إلى التفاضل بين الأنبياء بالدرجات والمراتب، فيمكن أن يكون المراد في هذا التكرار إشارة إلى أنبياء معينين وعلى رأسهم نبي الإسلام الكريم لأن دينه آخر الأديان وأكملها، فمن تكون رسالته إبلاغ أكمل الأديان لابد أن يكون هو نفسه أرفع المرسلين.

ومع ذلك، فإن العبارات المتقدمة في هذه الآية تدل على أن المقصود من ﴿رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ هم بعض الأنبياء السابقين، مثل إبراهيم إذ يقول سبحانه في الآية التالية: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي لو شاء الله ما أخذت أمم هؤلاء الأنبياء تتقاتل فيما بينها بعد رحيل أنبيائها.

﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ أي أننا وهبنا عيسى عليه السلام براهين واضحة مثل شفاء المرضى المزمنين وإحياء الموتى والمعارف الدينية السامية.

وعندما تؤكد هذه الآية على أن عيسى عليه السلام كان مؤيدا بروح القدس فلأنه كان يتمتع بسهم أوفر من سائر الأنبياء من هذه الروح المقدسة.

وتشير الآية كذلك إلى وضع الأمم والأقوام السالفة بعد الأنبياء والاختلافات التي جرت بينهم فتقول: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ فمقام الأنبياء وعظمتهم لن يمنعا من حصول

الاختلافات والاقتتال والحرب بين أتباعهم لأنها سنّة إلهية أن جعل الله الإنسان حرّا، ولكنه أساء الاستفادة من هذه الحرية ﴿وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾.

ومن الواضح أن هذا الاختلاف بين الناس ناشئ من اتّباع الأهواء والشهوات، وإلا فليس هناك أيُّ صراع واختلاف بين الأنبياء الإلهيين حيث كانوا يتّبعون هدفا واحدا.

ثم تؤكّد الآية أن الله تعالى قادر على منع الاختلافات بين الناس بالإرادة التكوينية وبالجبر، ولكنه يفعل ما يريد وفق الحكمة المنسجمة مع تكامل الإنسان، ولذلك تركه مختارا ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾.

ولا شك في أن بعض الناس أساء استخدام هذه الحرية، ولكن وجود الحرية في المجموع يعتبر ضروريا لتكامل الإنسان، لأن التكامل الإجباري لا يعد تكاملا.

وضمنا يستفاد من هذه الآية بطلان الاعتقاد بالجبر، حيث تثبت أن الله تعالى ترك الإنسان حرا فبعض آمن وبعض كفر.

هل الأديان تسبب الاختلافات؟

يتهم بعض الكُتّاب الغربيين الأديان على أنها هي سبب التفرقة والنزاع بين أفراد البشر، وهي السبب في إراقة الكثير من الدماء، فالتاريخ شهد الكثير من الحروب الدينية، وهكذا سعوا إلى إدانة الأديان واعتبارها من الأسباب المثيرة للحروب والمخاصمات.

وإزاء هذا القول لابد من الانتباه إلى ما يلي:

أولا: أن الاختلافات – كما جاء في الآية المذكورة – لا تنشأ في الحقيقة بين الأتباع الصادقين لدين من الأديان، بل هي بين أتباع الدين ومخالفيه، وإذا ما شاهدنا صراعا بين أتباع مختلف الأديان فإن ذلك لم يكن بسبب التعاليم الدينية، بل بسبب تحريف التعاليم والأديان، والتعصّب المقيت، ومزج الأديان السماوية بالخرافات.

ثانيا: أن الدين – أو تأثيره – قد انحسر اليوم عن قسم من المجتمعات البشرية، ومع ذلك نرى أن الحروب قد ازدادت قسوةً واتساعاً، وانتشرت في مختلف أرجاء العالم، فهل أن الدين هو السبب، أم أن روح الطغيان في مجموعة من البشر هي السبب الحقيقي لهذه الحروب، ولكنها تظهر اليوم بلباس الدين، وفي يوم آخر بلباس المذاهب الاقتصادية والسياسية، وفي أيام أخرى بقوالب ومسميات أخرى؟! وعليه فالدين لا ذنب له في هذا، إنما الطغاة هم الذين يشعلون نيران الحروب بحجج متنوعة.

ثالثا: أن الأديان السماوية – وعلى الأخص الإسلام – التي تكافح العنصرية والقومية، كانت سببا في إلغاء الحدود العنصرية والجغرافية والقبلية، فقضت بذلك على الحروب التي كانت تثار باسم هذه العوامل، وعليه فإن الكثير من الحروب في التاريخ قد خمدت نيرانها بفضل الدين، كما أن روح السلام والصداقة والأخلاق والعواطف الإنسانية التي ترفع لواءها جميع الأديان السماوية، كان لها أثر عميق في تخفيض الخصومات والمشاكسات بين مختلف الأقوام.

رابعا: أن من رسالات الأديان السماوية تحرير الطبقات المحرومة المعذَّبة، وكانت هذه الرسالة هي سبب الحروب التي شنَّها الأنبياء وأتباعهم على الظالمين والمستغلين، من أمثال فرعون والنمرود.

إن هذه الحروب التي تعتبر جهادا في سبيل تحرير الإنسان، ليست عيوبا تلصق بالأديان، بل هي من مظاهر فخرها واعتزازها وقوتها، إن حروب رسول الإسلام صلى الله عليه وآله مع المشركين من العرب والمرابين في مكة من جهة، ومع قيصر وكسرى من جهة أخرى، كانت كلها من هذا القبيل.

تفسير الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ج٢، ص٢٣٣– ٢٣٨ بتصرف

العلم بالغيب من منظور أهل البيت عليهم السلام (من أصول الكافي)

١- عَنْ مُعَمَّرِ بْنِ خَلَّادٍ قَالَ سَأَلَ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ فَارِسَ فَقَالَ لَه: أَتَعْلَمُونَ الْغَيْبَ؟ فَقَالَ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: «يُبْسَطُ لَنَا الْعِلْمُ فَنَعْلَمُ ويُقْبَضُ عَنَّا فَلَا نَعْلَمُ وقَالَ سِرُّ الله عَزَّ وجَلَّ أَسَرَّه إِلَى جَبْرَئِيلَ ع وأَسَرَّه جَبْرَئِيلُ إِلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وأَسَرَّه مُحَمَّدٌ إِلَى مَنْ شَاءَ الله».

٢- عَنْ مُصَدِّقِ بْنِ صَدَقَةَ عَنْ عَمَّارٍ السَّابَاطِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام عَنِ الإِمَامِ يَعْلَمُ الْغَيْبَ؟ فَقَالَ: «لَا ولَكِنْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْلَمَ الشَّيْءَ أَعْلَمَه الله ذَلِكَ».

٣- عَنْ عَلِيِّ بْنِ رِئَابٍ عَنْ سَدِيرٍ الصَّيْرَفِيِّ قَالَ سَمِعْتُ حُمْرَانَ بْنَ أَعْيَنَ يَسْأَلُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿بَدِيعُ السَّماواتِ والأَرْضِ﴾، قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: «إِنَّ الله عَزَّ وجَلَّ ابْتَدَعَ الأَشْيَاءَ كُلَّهَا بِعِلْمِه عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ كَانَ قَبْلَه فَابْتَدَعَ السَّمَاوَاتِ والأَرَضِينَ ولَمْ يَكُنْ قَبْلَهُنَّ سَمَاوَاتٌ ولَا أَرَضُونَ أَمَا تَسْمَعُ لِقَوْلِه تَعَالَى: ﴿وكانَ عَرْشُه عَلَى الْماءِ﴾، فَقَالَ لَه حُمْرَانُ أَرَأَيْتَ قَوْلَه جَلَّ ذِكْرُه: ﴿عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِه أَحَداً﴾، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: «إِلَّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ»، وكَانَ والله مُحَمَّدٌ مِمَّنِ ارْتَضَاه وأَمَّا قَوْلُه: ﴿عالِمُ الْغَيْبِ﴾، فَإِنَّ الله عَزَّ وجَلَّ عَالِمٌ بِمَا غَابَ عَنْ خَلْقِه فِيمَا يَقْدِرُ مِنْ شَيْءٍ ويَقْضِيه فِي عِلْمِه قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَه وقَبْلَ أَنْ يُفْضِيَه إِلَى الْمَلَائِكَةِ فَذَلِكَ يَا حُمْرَانُ عِلْمٌ مَوْقُوفٌ عِنْدَه إِلَيْه فِيه الْمَشِيئَةُ فَيَقْضِيه إِذَا أَرَادَ ويَبْدُو لَه فِيه فَلَا يُمْضِيه فَأَمَّا الْعِلْمُ الَّذِي يُقَدِّرُه الله عَزَّ وجَلَّ فَيَقْضِيه ويُمْضِيه فَهُوَ الْعِلْمُ الَّذِي انْتَهَى إِلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله ثُمَّ إِلَيْنَا».

الشرح:

حينما سُئل الإمام الباقر عليه السلام عَنْ قَوْلِ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿بَدِيعُ السَّماواتِ والأَرْضِ﴾، قَالَ عليه السلام: «إِنَّ الله عَزَّ وجَلَّ ابْتَدَعَ الأَشْيَاءَ كُلَّهَا بِعِلْمِه»، البديع بمعنى الفاعل وهو الذي يفعل فعلاً لم يسبق مثله، وقد

يكون بمعنى المفعول وأما نفس ذلك الفعل أو الفعل الحسن المشتمل على نوع من الغرابة لمشابهته إيّاه في كونه محلّ التعجّب منه وليس بمراد هنا.

وقوله عليه السلام: «عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ كَانَ قَبْلَه»، وفيه تنزيه له عن صفات الصانعين من البشر فإنّ صنايعهم تحذو حذواً ومثله سبقت من غيرهم أو حصلت في أذهانهم بإلهام فلا يكون على غير مثال.

وقوله عليه السلام: «أَمَا تَسْمَعُ لِقَوْلِه تَعَالَى: ﴿وكانَ عَرْشُه عَلَى الْماءِ﴾»، استشهاد لما تقدّم لإفادة أن الماء أوّل الموجودات الممكنة وأصلها ولا أصل له وإن عرش الواجب يعني علمه المتعلّق بالموجودات كان على الماء فقط إذ لم يكن حينئذ شيء من الجسم والجسمانيات موجوداً غيره ثم خلق منه السماوات والأرضين؛ ويدلّ على ذلك ما روي عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة: «وكَانَ الْخَالِقُ قَبْلَ الْمَخْلُوقِ...، ولَكِنَّه كَانَ إِذْ لَا شَيْءَ غَيْرُه وخَلَقَ الشَّيْءَ الَّذِي جَمِيعُ الأَشْيَاءِ مِنْه وهُوَ الْمَاءُ الَّذِي خَلَقَ الأَشْيَاءَ مِنْه فَجَعَلَ نَسَبَ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى الْمَاءِ ولَمْ يَجْعَلْ لِلْمَاءِ نَسَباً يُضَافُ إِلَيْه».

ورد الإمام عليه السلام على السائل بقول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ﴾، لمّا توهم السائل اختصاص علم الغيب به تعالى نبّه عليه السلام بذكر الاستثناء على ثبوته لمن ارتضاه.

ثم بين قول الله تعالى: «﴿عالِمُ الْغَيْبِ﴾، فَإِنَّ الله عَزَّ وجَلَّ عَالِمٌ بِمَا غَابَ عَنْ خَلْقِه فِيمَا يَقْدِرُ مِنْ شَيْءٍ ويَقْضِيه فِي عِلْمِه قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَه وقَبْلَ أَنْ يُفْضِيَه إِلَى الْمَلَائِكَةِ»، لعل المراد أنه تعالى عالم بالشيء قبل أن يخلقه ويظهره للملائكة في حال تقديره وقضائه وذلك موقوف عنده لأن ذلك الشيء في محل البداء ولله فيه المشيئة فيمضيه إذا أراد أمضاه ولا يمضيه إذا أراد عدم إمضائه وهذا علم بالغيب مختص به، وأما الذي قدّره وقضاه وأمضاه فهو الذي أظهره للملائكة والأنبياء والأوصياء عليهم السلام، وبالجملة العلم قسمان:

علم موقوف وهو العلم بالأشياء قبل إمضائها في حال المشيئة والإرادة والتقدير والقضاء فإنّها في هذه المراتب في محل البداء، فإذا تعلّق بهذا الإمضاء بعد القضاء خرجت عن حدّ البداء ودخلت في الأعيان، وعلم مبذول وهو العلم بالأشياء بعد تعلّق الإمضاء.

وقوله عليه السلام: «إِلَيْه فِيه الْمَشِيئَةُ»، المشيئة مبتدأ و (فِيه) متعلّق بها و (إِلَيْه) خبر أي: المشيئة فيه إلى الله تعالى.

وخلاصة القول:

إنّ النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام يعيشون حياتهم بشكل طبيعي، ولكنّهم يتّصلون بالغيب وقت الضرورات القُصْوَى، وإنّ عِلْمَهم بالغيب ليس ذاتيّاً ولا مستقلاً ولا مطلقاً، بل هو فيض إلهي من الله ربّ العالمين، إن شاء أعلمهم، وإن لم يشاء لم يعلمهم.

جامع الأحمدية
في بغداد

التسمية وتاريخ البناء:

قد عُرف بجامع الميدان لأنه يطل على ساحة الميدان، ولوقوعه في محلة الميدان، وهي من محلات مدينة بغداد القديمة، كما عُرف بجامع الأحمدي نسبة إلى بانيه أحمد باشا كتخدا سليمان باشا الكبير الذي حكم العراق ما بين سنة (١١٩٣ - ١٢٢٧هـ). أمر أحمد باشا بإنشاء هذا الجامع عام (١٢١٠هـ/ ١٧٩٥م)، ولم يكتمل البناء في عهده، وأكمله من بعده أخوه عبد الله آغا. وقد مرت على المبنى أحداث كثيرة منها، قيام الوالي داود باشا بتجديد الكتابات والنقوش القائمة على واجهة المبنى سنة ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م.

وفي عهد الوالي مدحت باشا هدمت غرف المدرسة وأضيفت أرضيتها إلى الشارع العام، كما جدد بناء بيت الصلاة سنة (١٣٧هـ/ ١٨٩٣م) استناداً إلى كتابة مدونة على رقبة قبة بلاط المحراب، وفي العهد الملكي أمر الملك فيصل الأول أن يخصص هذا الجامع لصلاة الجمعة فقط.

شكل البناء:

يقوم مبنى الجامع على قطعة من الأرض مستطيلة الشكل تقدر مساحتها بـ (٣٣٤٤م)، تحتوي على بيت للصلاة مساحته ٢٤٠م، أقيمت فيه أربع دعائم ضخمة، وضعت هذه الدعائم بحيث تشكل ثلاث بلاطات، أوسعها البلاطة الوسطى (القاعة الوسطى) بلغ عرضها ١١م وعرض البلاطة الجانبية ٣,٧م، وبلغ ارتفاع هذه الدعامات من مستوى أرضية المصلى إلى أرضية المحفل المحيط ببلاطة المحراب

أربعة أمتار، وتستمر هذه الدعائم في الارتفاع من فوق أرضية المحفل، وقد أدت إضافة هذه الدعائم إلى حدوث ممرات بينها، أقيم فوقها المحفل المحيط ببلاطة المحراب، وارتكزت على الدعائم عقود مدببة ربطت بين الدعائم وبين جدران بيت الصلاة، أقيم بعضها بشكل عمودي على جدار القبلة وبعضها الآخر موازياً له، ولإحداث التناظر والتناسق في البناء جعل كل عقدين متقابلين متشابهين في الشكل والحجم.

رقبة القبة:

امتازت رقبة القبة بطولها، وقد قسمت إلى ثلاثة أشرطة، الأوسط منها فتحت فيه نوافذ، بعضها نافذة وبعضها غير نافذة تُوجت بعقود محلات، وترتكز فوق الرقبة قبة من نوع القباب المزدوجة، جعلت القبة الداخلية منخفضة ذات شكل نصف كروي، في حين جعلت القبة الداخلية ذات شكل بصلي، وقد امتازت هذه الأخيرة بالضخامة.

ومراعاة الظروف المناخية لمدينة بغداد، لذا قد جعل سمك الجدران ٢,٥ متراً على غرار جدران جامع الحيدرخانه. كسيت جدران المصلى من الداخل، وعلى ارتفاع متر من مستوى أرضية المصلى، بألواح رخامية، ويتوسط جدار القبلة محراب مجوف أقيم داخل حنيَّة مجوفة مضلعة تنحرف عن اتجاه القبلة بمقدار ثماني درجات فقط، قطاع تجويفه مخمس، ويتوج نصف قبة مضلعة تطل على المصلى بعقد مبروم، وكسيت واجهة العقد وباطنه ببلاطات خزفية ذات ألوان زاهية ازدانت بكتابات وزخارف نباتية، وإلى يسار المحراب أقيم المنبر، وهو يقوم على قاعدة مستطيلة الشكل تلتصق بجدار القبلة، وقد كسيت جدرانه بألواح من الرخام أزيلت مؤخراً واستبدلت بالآجر الجمهوري.

أما أبواب المصلى فقد فتحت في جدار مؤخرة بيت الصلاة وعددها ثلاثة، أوسعها الأوسط، تطل هذه الأبواب على الرواق القائم أمام المصلى، ويتوج الباب الأوسط بعقد مقصوص جعل فصه العلوي موتوراً، يرتكز العقد على عضادتين من الرخام، وعلى جانبي الباب (نواصي) أقيم عمودان من نوع الأعمدة الحلزونية مصنوعة من قطعة واحدة من الرخام، ويتوج كل عمود بتاج مقرنص.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (إنَّ مَنْ أَعْطى مَنْ حَرَمَهُ وَوَصَلَ مَنْ قَطَعَهُ وَعَفا عَمَّنْ ظَلَمَهُ كانَ لَهُ مِنَ اللهِ الظَّهيرُ وَالنَّصيرُ).

آداب النصيحة في الإسلام | الحلقة الثانية

الدين الإسلامي هو دين النصيحة، فهي من خصال الإسلام والإيمان والإحسان، ولذلك سمّي الدين النصيحة.

وقد ذكر القرآن الكريم والسنة الشريفة، إن الوظيفة الأساسية لبعثة الأنبياء عليهم السلام هي الدعوة إلى الله تعالى والنصح لأممهم، قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (سورة النحل: ١٢٥).

وفي المأثور عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «وأحب عبادة عبدي إليَّ النصيحة» (كنز العمال: ج٣، ص٤١٣).

وعن تميم الداري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الدين النصيحة، قيل لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولرسوله ولأئمة الدين ولجماعة المسلمين» (الوسائل: ج١٦، ص٣٨٢).

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة له في المشهد والغيب» (الكافي: ج٢، ص٢٠٨).

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لينصح الرّجل منكم أخاه كنصيحته لنفسه» (الكافي: ج٢، ص٢٠٨).

وتعتبر النصيحة من أفضل الأعمال عند الله في يوم القيامة، ففي خبر سفيان بن عُيَيْنَة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «عليكم بالنصح لله في خلقه فلن تلقاه بعمل أفضل منه» (الكافي: ج٢، ص٢٠٨).

كما إن أعظم الناس منزلة يوم القيامة عند الله أكثر الناس نصيحة لخلق الله، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن أعظم الناس منزلة عند الله يوم القيامة أمشاهم في أرضه بالنصيحة لخلقه» (الكافي: ج٢، ص٢٠٨).

كما إن للمنصوح حقاً قد بينه الإمام السجاد عليه السلام بقوله: «وحق المستنصح أن تؤدي إليه النصيحة، وليكن مذهبك الرحمة له والرفق به» (الأمالي: ص٤٥٦).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «لا يستغني المؤمن عن خصلة وبه الحاجة إلى ثلاث خصال: توفيق من الله عز وجل، وواعظ من نفسه، وقبول من ينصحه» (الوسائل: ج١٢، ص٢٥).

وان مخالفة الناصح الشفيق الصادق المخلص في نصيحته تورث الحسرة والندامة كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «فإن معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحسرة وتعقب الندامة» (نهج البلاغة: ص٧٩).

وعنه عليه السلام: «مناصحك مشفق عليك محسن إليك ناظر في عواقبك، مستدرك فوارطك، ففي طاعته رشادك وفي مخالفته فسادك». (غرر الحكم: ح٩٨٣٩).

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «وأما علامة الناصح فأربعة: يقضي بالحق، ويعطي الحق من نفسه، ويرضى للناس ما يرضاه لنفسه، ولا يعتدي على أحد». (تحف العقول: ص٢٠).

آداب المنصوح:

١- أوضح سيد الساجدين الإمام علي بن الحسين عليه السلام في رسالة الحقوق حق الناصح حيث قال: «إن تلين له جناحك وتصغي إليه بسمعك، فإن أتى بالصواب حمدت الله عز وجل، وان لم يوفق رحمته ولم تتهمه وعلمت أنه أخطأ، ولم تؤاخذه بذلك» (الأمالي: ص٤٥٦).

٢- عدم التكبر في قبول النصيحة.

٣- عدم الإصرار على الباطل، فلا تأخذه العزة بالإثم قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (سورة البقرة: ٢٠٦)، فالرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل، ولقد وصف الله عباده المؤمنين حينما يقعون في الخطأ أنهم يستغفرون الله، فأثابهم الله جزاء ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار؛ فقال سبحانه:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦)﴾ (سورة آل عمران: ١٣٥-١٣٦).

٤- شكر الناصح، حثنا النبي صلى الله عليه وآله أن نقدم كلمة الشكر لمن صنع إلينا معروفًا؛ فنقول له: جزاك الله خيراً، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من صُنِع إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيراً، فقد أَبْلَغَ في الثناء» (كنز العمال: ج٦، ص٥٢٣).

وعنه صلى الله عليه وآله: «لا يشكر اللهَ من لا يشكر الناس» (الوسائل: ج١٦، ص٣١٣).

فعلى المنصوح توجيه سمعه وقلبه إلى الناصح، وإبداء السرور للناصح بنصيحته وقبولها وشكره، كما قال سيد الأوصياء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «يا أيها الناس اقبلوا النصيحة ممن نصحكم وتلقوها بالطاعة ممن حملها إليكم» (عيون الحكم والمواعظ: ص٥٥٢). فإن كل مؤمن لابد له من ناصح.

«الاِسْتِغْنَاءُ عَنِ الْعُذْرِ أَعَزُّ مِنَ الصِّدْقِ بِهِ»

نهج البلاغة: ج١، ص٣٦٧

في هذه الحكمة ينبه أمير المؤمنين عليه السلام إلى أمر يكثر استعماله في المجتمع، وهو كثرة الاعتذار مع أن الفرصة كانت مواتية لئلا يحتاج الإنسان إلى ذلك، بل يبقى عزيزاً كريماً لا يشعر بحاجته إلى إصلاح شي تجاوز فيه.

ولو تنبه الإنسان لذلك ووعى هذه الفكرة التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام جيداً فسيساعد ـ حتماً ـ على تقليص حالاتٍ سلبية كثيرة في المجتمع من حواليه منها: خلف الوعد، عدم الصدق، الاحتيال، التجاوز على حق الغير، الاعتداد وعدم احترام الغير، عدم الأمانة وغيرها، مما يكثر حدوثها في مختلف المجتمعات إلّا ما قلَّ حتى عدنا نستغرب له لو سمعنا بأنّ إنساناً في مجتمع ما يلتزم بمواعيده، أو لا يتجاوز على حق غيره، أو يصدق في تعامله، أو لا يحتال أو غير ذلك مما تفتقده بعض المجتمعات، ومنها المجتمع المسلم للأسف مع إننا محصنون حيث بُرمجت حياتنا العملية الخاصة ببرنامج دقيق يضمن لكل الأطراف حقوقها المعنوية والمادية، وذلك من خلال النصوص الشرعية، ولكن لما تراجع البعض نتيجة الإنشداد والإعجاب والإصغاء إلى مَن لا يستحق ذلك فآمنوا بوعود كلامية وهمية، وتركوا ضمانات فعلية حقيقية، فحَلَّ بنا ما نرى اليوم ألا يسمعوا هؤلاء قول الله تعالى في محكم كتابه الكريم ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ سورة الجن ١٦.

وهم يرون بعقولهم وعيونهم صدق وعده سبحانه وتعالى وإنه لا يخلف الميعاد كما ذكر ذلك في كتابه المجيد في آيات كثير منها: ﴿وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ سورة الروم ٦.

لان كل ما حول الإنسان يؤكد هذه الحقيقية.

فيرى الإنسان المسلم ماذا حلّ ويحلّ بالكافر، والمنحرف عن طريق الله تعالى، كما يرى الإنسان الكافر ماذا يتمّ ويحصل للمسلم الذي حسُن إسلامه، بل ومَن لم

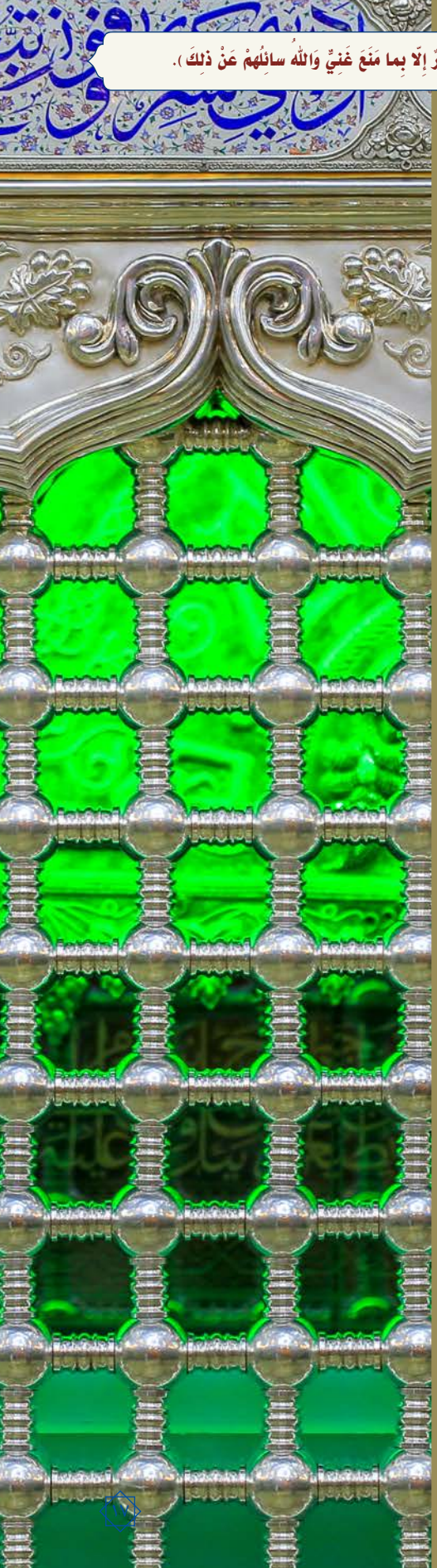

يحسن، لأن نِعم الله تعالى، ودفع الله تعالى وتدبيره وتهيئته، كل ذلك مما يعجز عنه عقل عاقل بل وغيره من وسائل العصر الحديث الموصوفة بالدقة. وذلك لأمر بسيط جداً لأنه ترك سرّ ذلك إليه لا يعلمه غيره مهما كان فإننا نشاهد ونسمع ونقرأ عن اختراعات متطورة، سواء أكان في بناء البشرية أم في تدميرها، إلّا أننا علمنا في الوقت ذاته عجز المخترعين عن إيجاد سر الحياة، وعن إعطاء حالة التشابه في مفعولها الروحي؛ لأن ذلك مما اختص الله تعالى به، وهذا كله يدل على عظمته وقدرته مما يدعو إلى الإيمان بالله وعدم الابتعاد عنه.

فالمقصود من هذه الحكمة دعوة الإنسان إلى أن يستغني عن العذر والاعتذار بالالتزام، وعدم التفريط في تصرفاته ومواقفه، لكي يبقى في موقع الرفعة، فيحافظ على عزته وكرامته، وهو أمرٌ يحرص على تحقيقه كل عاقلٍ.

والمعنى للحكمة باختصار: لا تفعل شيئا تعتذر عنه وإن كنت صادقا في العذر، فألا تفعل خير لك وأعز لك من أن تفعل ثم تعتذر وإن كنت صادقا في فعلك.

المصدر: كتاب أخلاق الإمام علي عليه السلام: السيد صادق الخرسان، ج١، ص٧٧ـ٧٨ بتصرفٍ.

التوحيد!

التوحيد هو مصطلح ديني وعقائدي خالص، ويشتهر بين الناس جميعاً، ويراد منه بشكل عام وحدانية خالق الكون، فلا وجود لخالق آخر أو رازق أو قادر أو عالم بنحو مطلق ومستقل غيره تعالى، إلّا أن التوحيد عند الشيعة الإمامية الإثني عشرية يراد به إثبات كل ما يليق بالذات الإلهية كالعلم والقدرة والحياة والرزق ونفي كل ما لا يليق بها أي سلب كل صفة لا تليق بالذات الإلهية كالجسم فانه من صفات المخلوقات، والعجز والجهل والظلم وكل صفة تسبب نقصاً في الذات.

قال الشيخ الصدوق قدس سره: «أعلم أن اعتقادنا في التوحيد أن الله تعالى واحد أحد، ليس كمثله شيء قديم لم يزل ولا يزال سميع بصير عليم حكيم حي قيوم عزيز قدوس قادر غني، لا يوصف بجوهر ولا جسم ولا صورة ولا عرض ولا خط ولا سطح ولا ثقل ولا خفة ولا سكون ولا حركة ولا مكان ولا زمان» اعتقادات الإمامية: ج١، ص٢١.

وقال الشيخ المظفر قدس سره: ونعتقد: بأنّه يجب توحيد الله تعالى من جميع الجهات، فكما يجب توحيده في الذات ونعتقد بأنّه واحد في ذاته ووجوب وجوده، كذلك يجب - ثانياً - توحيده في الصفات، وذلك بالاعتقاد بأنّ صفاته عين ذاته، وبالاعتقاد بأنه لا شبه له في صفاته الذاتية؛

فهو في العلم والقدرة لا نظير له، وفي الخلق والرزق لا شريك له، وفي كلّ كمال لا ندَّ له.

وكذلك يجب – ثالثاً – توحيده في العبادة؛ فلا تجوز عبادة غيره بوجه من الوجوه، وكذا إشراكه في العبادة في أيّ نوع من أنواع العبادة؛ واجبة أو غير واجبة، في الصلاة وغيرها من العبادات.

ومن أشرك في العبادة غيره فهو مشرك، كمن يرائي في عبادته ويتقرَّب إلى غير الله تعالى، وحكمه حكم من يعبد الأَصنام والأَوثان، لا فرق بينهما

أمّا زيارة القبور وإقامة المآتم، فليست هي من نوع التقرُّب إلى غير الله تعالى في العبادة – كما توهّمه بعض من يريد الطعن في طريقة الإمامية، غفلة عن حقيقة الحال فيها– بل هي من نوع التقرُّب إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة، كالتقرُّب إليه بعيادة المريض، وتشييع الجنائز، وزيارة الإخوان في الدين، ومواساة الفقير. والغرض؛ إنّ إقامة هذه الأعمال ليست من نوع الشرك في العبادة – كما يتوهمه البعض – وليس المقصود منها عبادة الأَئمّة، وإنّما المقصود منها إحياء أمرهم، وتجديد ذكرهم، وتعظيم شعائر الله فيهم ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ الحج ٣٢.

فكلّ هذه أعمال صالحة ثبت من الشرع استحبابها، فإذا جاء الإنسان متقرِّباً بها إلى الله تعالى، طالباً مرضاته، استحقّ الثواب منه، ونال جزاءه. عقائد الإمامية ص٢٥.

وبعبارةٍ جامعة أن التوحيد يعني إثبات الكمال المطلق له سبحانه دون أن يشاركه أحد في ذلك من عباده، ويتوضح مفهوم التوحيد من خلال العرض القرآني لعقيدة الإسلام، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللهِ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ الرعد ١٦.

وفي هذه الآية يوضح القران الكريم بان التوحيد هو نفي الشريك عنه فهو الواحد القهار، والتراث الإمامي مشحون بتأصيل عقيدة التوحيد بهذه المعاني، جاء في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُه وكَمَالُ مَعْرِفَتِه التَّصْدِيقُ بِه، وكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِه تَوْحِيدُه، وكَمَالُ تَوْحِيدِه الإِخْلَاصُ لَه، وكَمَالُ الإِخْلَاصِ لَه نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْه، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ، وشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّه غَيْرُ الصِّفَةِ، فَمَنْ وَصَفَ اللهَ سُبْحَانَه فَقَدْ قَرَنَه، ومَنْ قَرَنَه فَقَدْ ثَنَّاه ومَنْ ثَنَّاه فَقَدْ جَزَّأَه، ومَنْ جَزَّأَه فَقَدْ جَهِلَه..» شرح أصول الكافي: ج٢، ص٢٠١.

من وحي كلمات الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف

يوم ظهور الإمام المهدي عليه السلام هو اليوم الموعود الّذي تتحقّق فيه كلمة الله تعالى ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ القصص:٥، هو يوم ظهور الحقّ وانتصار العدل، يوم تهفو إليه قلوب المؤمنين، وتشتاق إليه عيون المخلصين، وتتعلّق بحبائله صرخات المظلومين، وتستنير بهديه قوافل السائرين.

هو يوم الإسلام العظيم، يوم الله الذي تظهر فيه جنوده، وتعلو فيه راياته ويُنتصر فيه لأوليائه... هو يوم يختصر بمعانيه كلَّ النور، ليطرد كلَّ الظلام... يدغدغ ذكره مشاعر المنتظرين، فمتى تصل نفوسنا إلى اللياقة المطلوبة لتحمُّل مسؤوليَّة يوم الظهور، ومتى سترتفع تلك اليد المباركة لتقلّدنا وسام استحقاق النصرة، وتقبّلنا أفراداً في طلائع ذلك الجيش، جيش الإمام عليه السلام في يومه الموعود.

سنتعرف فيما يلي على بعض الأمور والمفاهيم الأساسيَّة الواردة في الروايات على لسان الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف حول يوم الظهور وعلاماته والتمهيد للظهور.

كذب الوقّاتون

(إنَّ يوم الظهور، هو يوم واقع لا شك فيه، ولكنَّ توقيت ذلك اليوم ومتى سيكون، هو في علم الله تعالى، وسيفاجأ الناس بحصوله، ولذلك فإنَّ أيَّ توقيت ليوم الظهور غير صحيح، ولا يمكن الاعتماد عليه.

وأمَّا ظهور الفرج فإنَّه إلى الله وكذب الوقّاتون).

كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق: ص٤٨٤.

التمهيد للظهور

إنَّ يوم الظُّهور توقيته غير معلوم بالنسبة لنا كما أسفلنا، ولكن رغم ذلك فإنَّنا مؤثّرون في توقيت الظُّهور وتسريعه أو إبطاءه، وهذا ما تشير إليه العديد من الروايات عنه عليه السلام:

١- «وأمَّا علة ما وقع من الغيبة فإنَّ الله عز وجل قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ المائدة: ١٠١. إنَّه لم يكن أحد من آبائي إلاَّ وقد وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإنِّي أخرج- حين أخرج- ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي».

المصدر السابق: ص٤٨٥.

إذا كان سبب حصول الغيبة هو من قبيل حصول المانع الّذي يمنع من قيام الإمام الحجة عليه السلام بدوره المبارك في إظهار وانتصار الحقّ على الباطل والعدل على الجور، فهذا يعني أنّه بانتفاء هذا المانع وارتفاع هذا السبب سيكون الظُّهور بإذن الله تعالى، وأنَّ الغيبة لا زالت مستمرة باعتبار أنَّ هذا المانع لم يرتفع بعد.

ولعلَّ الرِّواية تشير إلى أنَّ السبب الأساسي للغيبة عدم وجود الناصر الكافي لتحقيق هذا الأمر، وأنَّ الإمام لا زال ينتظر جهوزيَّة جنوده الّذين سيقاتل بهم الأعداء، ولعلَّ هذا هو المقصود من الاستشهاد بالآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾.

٢- «ولو أنّ أشياعنا وفَّقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخّر عنهم اليمن بلقائنا، ولتعجّلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حقِّ المعرفة وصدقها منهم بنا، فما يحبسنا عنهم إلاَّ ما يتصل بنا ممّا نكرهه ولا نؤثره منهم والله المستعان، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلواته على سيّدنا البشير النذير

محمد وآله الطاهرين وسلّم». تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي: ج١، ص٤٠.

هذه الرواية تؤكد أنَّ الذي يُبقي الإمام في الغيبة ويحبسه عنّا، ويؤخّر في الظهور، ليس انتظاره لامتلاء الأرض ظلماً وجوراً، فالأرض كانت ممتلئة كذلك من لحظة الغياب، وهي ممتلئة الآن بأبشع أنواع الظلم والجور، ولو كانت الأرض الآن بعيدة عن الظلم والجور لبادر الإمام لقيادتها بعدله، وما كان ليتأخر عنها وهي جاهزة لذلك، إنَّ الذي يؤخِّر الإمام هو ما يصله ويطَّلع عليه من أعمالٍ لا يرضاها تصله عنّا. وما يؤخره هو عدم جهوزيَّة المجتمع لتحمُّل هذه المسؤوليَّة الكبرى، فإذا اجتنبوا المعاصي وأعدّوا أنفسهم تماماً لتحمُّل تلك المسؤوليَّة وصاروا جاهزين يملكون الكفاءة اللازمة، فسيأتي وقت العاقبة الحميدة: «والعاقبة بجميل صنع الله سبحانه تكون حميدة لهم ما اجتنوا المنهيَّ عنه من الذنوب». المصدر السابق: ص٣٩.

٣- «يا معاشر نقبائي وأهل خاصتي ومن ذخرهم الله لنصرتي قبل ظهوري على وجه الأرض إئتوني طائعين، فترد صيحته عليه السلام عليهم وهم على محاريبهم، وعلى فرشهم في شرق الأرض وغربها فيسمعونه في صيحة واحدة في أذن كل رجل، فيجيئون نحوها (أي: نحو الصيحة)، ولا يمضي لهم إلا كلمحة بصر حتى يكون كلهم بين يديه عليه السلام بين الركن والمقام...» بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٥٣، ص٧.

عندما يصبح النقباء وأهل الخاصَّة ومن ذخرهم الله تعالى لنصرة الإمام عجل الله فرجه جاهزين ومستعدين، فإنَّ النداء سيأتيهم من الإمام عجل الله فرجه ليلتحقوا به ويكون تحقيق الوعد الإلهي على أيديهم.

٤- وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج، فإنَّ ذلك فرجكم. الغيبة، الشيخ الطوسي: ص٢٩٣.

لا شك أن الدعاء من الأمور الأساسية المؤثرة، لأنَّه من جهة فيه توجه لله تعالى الذي قال ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ غافر:٦٠، ومن جهة أخرى يقوِّي الارتباط والعلاقة بالإمام المنتظر عجل الله فرجه، ومن جهة ثالثة يوجِّه الإنسان نحو إعداد العدة وتمهيد الأرض لهذا اليوم العظيم. فلهذا الدعاء أثره الغيبيّ والنفسيّ والعمليّ.

من علامات الظهور

ليس غرضنا أن نستقرئ في هذه الفقرة علامات الظهور، وأقسامها، وإنَّما نذكر بعض الأمور التي وردت في الروايات المرويَّة عن الإمام الحجة عجل الله فرجه، وبعضهم واضح بدلالته ولكنَّ بعضها الآخر أشبه بالرموز التي يفهمها الإنسان بشكل تفصيلي حين تقع، لذلك نكتفي بعرضها.

١ـ وآية حركتنا من هذه اللوثة (اللوثة- بالضم- الاسترخاء والبطء) حادثة بالحرم المعظّم، من رجس منافق مذمّم، ستحلّ للدم المحرّم، يعمد بكيده أهل الإيمان، ولا يبلغ بذلك غرضه من الظلم والعدوان». تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي: ج١، ص٤٠.

٢- علامة ظهور أمري كثرة الهرج والمرج والفتن، وآتي مكة فأكون في المسجد الحرام، فيقال: انصبوا لنا إماماً، ويكثر الكلام حتى يقدم رجل من الناس فينظر في وجهي ثم يقول: يا معشر الناس هذا المهدي انظروا إليه) ثم جاء في النص ما يلي: (فيأخذون بيدي، وينصبوني بين الركن والمقام فيبايع الناس عند إياسهم عني). الغيبة، الشيخ الطوسي: ص٣٠٢.

مناسبات شهر جمادى الآخرة

نقل الرأس الشريف لأبي عبد الله الحسين عليه السلام من عسقلان إلى القاهرة:

في يوم الأحد الثامن من جمادى الآخرة سنة (٥٤٨هـ) المصادف الحادي والثلاثون من شهر اغسطس سنة (١١٥٣م) (على قول المقريزي) حيث نقل الرأس الشريف لأبي عبد الله الحسين عليه السلام من عسقلان إلى القاهرة في خلافة الفائز بالله من ملوك الإسماعيلية.

ووصل الرأس الشريف إلى القاهرة يوم الثلاثاء العاشر من نفس الشهر، ثم انزل بالرأس إلى الكافوري - حديقة القصر الفاطمي - ثم حمل إلى سرادب إلى قصر الزمرد ودفن عند قبة الديلم بباب دهليز الخدمة.

وروي في مكان دفن الرأس الشريف غير ذلك والقول الصحيح إنه أُعيد إلى الجسد بعد أن طيف به في البلاد ودفن بكربلاء مع جسده الشريف صلوات الله عليه، وكان عمل الطائفة على هذا المعنى المشار إليه.

وفاة آية اللّه العظمى السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي العاملي قدس سره:

في الثامن من شهر جمادي الثانية سنة (١٣٧٧هـ) توفيي في لبنان السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي العاملي، وتم تشييع جثمانه الشريف بشكل رسمي في العاصمة بيروت.

ثم نقل جسده الطاهر إلى بغداد بالطائرة، وشيع في مدينة الكاظمية وكربلاء المقدستين والنجف الأشرف، حيث شارك في ذلك التشييع المهيب الذي لا مثيل له طبقات المجتمع كافة، وبالخصوص العلماء الأعلام، وتم دفنه في الصحن الشريف للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

تصدى السيد شرف الدين للاستكبار والاستعمار بأنواعه وأشكاله كافة، وكانت مواقفه الجهادية ضد الاستعمار الفرنسي معروفة لدى الجميع.

مما اضطرهم إلى التعبير عن غضبهم وانتقامهم بحرق منزله في منطقة شحرور، والإغارة على منزله الأخر في مدينة صور، ومصادرته وإحراق مكتبته التي كانت تحتوي على كثير من المخطوطات العلمية القيّمة.

ولم تثن عزم السيد شرف الدين نشاطاته وجهاده ضد الاحتلال عن التفرغ للتأليف والكتابة، فله من المؤلفات ما يعد بالعشرات، منها مع شديد الأسف ما هو مفقود، أما المطبوع فمنها كتاب المراجعات، أجوبة مسائل جار الله، الفصول المهمة في تأليف الأمة، النص والاجتهاد، المجالس الفاخرة وغيرها.

ولادة الإمام السجاد عليه السلام (على رواية):

في الخامس عشر من شهر جمادي الثانية سنة (٣٨هـ) (وعلى رواية) ولد الإمام السجاد علي بن الحسين عليه السلام، وقيل: في ٩ شعبان سنة (٣٨هـ)، وقيل: سنة(٣٦هـ)، وقيل: سنة(٣٧هـ). وقيل: ٥ شعبان سنة (٣٨هـ)، وهو الأشهر.

حمل آمنة بالنبي صلى الله عليه وآله:

في ليلة التاسع عشر من شهر جمادى الآخرة حملت آمنة بنت وهب بالنبي صلى الله عليه وآله، وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما حملت به آمنة بنت وهب كانت تقول: ما شعرت أني حملت به، ولا وجدت له ثقلة كما تجد النساء...، وأتاني آت وأنا بين النائم واليقضان، فقال: هل شعرت أنك حملت، فكأني أقول: ما أدري، فقال: إنك حملت بسيد هذه الأمة ونبيها... قالت: فكان ذلك مما يقن عندي الحمل. (الخصائص الكبرى: ج١، ص٤٢).

وفاة أم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليه السلام:

في الحادي والعشرون من جمادى الآخرة سنة ٦١هـ وبعد أربعة أشهر من رجوعها من كربلاء إلى المدينة هي ومن معها من سبايا أهل البيت عليهم السلام توفيت أم كلثوم بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

وأمها: فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

زوجها أمير المؤمنين عليه السلام ابن أخيه عون بن جعفر بن أبي طالب.

وكانت عليها السلام مع أخيها الحسين عليه السلام في كربلاء، وممن وقع عليه السبي مع أخواتها وبقية نساءها.

طواف عبد المطلب بالنبي صلى الله عليه وآله حول الكعبة وإيداعه عند حليمة السعدية:

وفي الثامن والعشرين من جمادي الثانية طوف عبد المطلب قرة عينه لنبي صلى الله عليه وآله وسلمه إلى حليمة السعدية وزوجها لإرضاعه صلى الله عليه وآله، وبذل لها أربعة آلاف درهم وعشرة ثياب، وأربعة جواري.

وفاة السيد محمد بن علي الهادي عليه السلام (سبع الدجيل):

وفي التاسع والعشرين من جمادي الثانية سنة (٢٥٢هـ)، توفي السيد أبي جعفر محمد البعاج بن الإمام الهادي عليه السلام في سامراء.

وكانت له منزلة عظيمة وجلالة قدر حتى ظن بعض الشيعة أنه الإمام بعد أبيه الهادي عليه السلام، ولكن بموته في حياة أبيه اتضح أن الإمام من بعده الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

دفن عليه السلام في منطقة بلد على ستة فراسخ من سامراء، وقبره هناك معروف يزار، وله عليه السلام كرامات كثيرة مشهورة.

وهناك مناسبات كثيرة ومهمة قد تم ذكرها في السنين السابقة لشهر جمادى الآخرة فمن أراد الاطلاع فليراجع.

رِضوانُ اللهِ عليه

حُكَيْم بن جَبَلَة العَبْدِي

اسمه ونسبه:

هو حُكَيْم بن جَبَلة بن حصن بن أسود بن كعب العَبْدي من بني عبد القيس.

ولادته: لم تحدد لنا المصادر تاريخ ولادته.

أخباره:

في الدرجات الرفيعة: عن جماعة من أهل السيَر، أنّه كان رجلًا صالحاً شجاعاً مذكوراً مطاعاً في قومه... إلى أن قال: وكان حُكَيْم المذكور أحد من شَنّع على عثمان؛ لسوء أعماله وعمّاله، وحُكَيْم من خيار أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وفيه يقول أمير المؤمنين عليه السلام على ما ذكره ابن عبد ربّه في العقد: دَعَا حُكَيْم دَعْوَةً سَمِيعَة نَالَ بِهَا المنزلَةَ الرَّفِيعة. العقد الفريد: ج٣، ص ٣٠٩، والدرجات الرفيعة السيد علي خان المدني: ص٣٩١. ويظهر منها قوّة إيمانه، وشدّة يقينه.

وفي مجالس القاضي: كان رجلًا صالحاً مطاعاً في قومه، حارب طلحة

والزُّبير قبل قدوم الإمام علي عليه السلام واستشهد. مجالس المؤمنين: ج١: ص٢٢٨.

ثناء الإمام علي عليه السلام عليه:

رووا أنه عليه السلام لما بلغه - وهو بالربذة - خبر طلحة والزبير وقتلهما حُكَيْم بن جَبَلة ورجالاً من الشيعة وضربهما عثمان بن حنيف وقتلهما السبابجة، قام على الغرائر فقال عليه السلام: «إنه أتاني خبر متفظع ونبأ جليل: أن طلحة والزبير وردا البصرة فوثبا على عاملي فضرباه ضرباً مبرحاً وترك لا يدرى أحي هو أم ميت، وقتلا العبد الصالح حُكَيْم بن جبلة في عدة من رجال المسلمين الصالحين لقوا الله موفون ببيعتهم ماضين على حقهم...». الكافئة ـ الشيخ المفيد: ص١٨.

وقال أبو مخنف في اسناده: لما بلغ علياً - وهو بالمدينة - شخوص طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة، استنفر الناس بالمدينة، ودعاهم إلى نصره فخفّت معه الأنصار وجعل حجّاج بن غزية يقول:

سيروا أبابيل وحثّوا السيرا
كي تلحقوا التيمي والزبيرا.

فخرج الإمام علي عليه السلام من المدينة في سبعمائة من الأنصار وورد الربذة، فقدم عليه المثنى بن محربة، فأخبره بأمر طلحة والزبير، وبقتل حُكَيْم بن جَبَلة العَبْدي فيمن قتل من عبد القيس وغيرهم من ربيعة، فقال الإمام علي عليه السلام:

يا لهف أمّاه على الربيعة
ربيعة السامعة المطيعة
قد سبقتني بهم الوقيعة
دعا حُكَيْم دعوة سميعة

نال بها المنزلة الرفيعة.

أنساب الأشراف ـ البلاذري: ج٢، ص٢٣٤.

وفاته: قُتل في الأحداث التي سبقت واقعة الجمل.

فائدة عامة: «لولا حرب الجمل لما كانت حرب صفّين والنهروان، ولا مذبحة كربلاء، ووقعة الحرّة، ولا رُميت الكعبة المكرَّمة بالمنجنيق أكثر من مرَّة، ولا كانت الحرب بين الزبيريّين والأُمويّين، ولا بين الأُمويّين والعباسيّين، ولما افترق المسلمون إلى سُنَّة وشيعة، ولما وجد بينهم جواسيس وعملاء يعملون على التفريق والشتات، ولما صارت الخلافة الإسلامية ملكاً يتوارثها الصبيان، ويتلاعب بها الخدم والنسوان. لقد جمعت حرب الجمل جميع الرذائل والنقائص، لأنَّها السبب لضعف المسلمين وإذلالهم، واستعبادهم وغصب بلادهم، فلقد كانت أوَّل فتنةٍ ألقت بأس المسلمين بينهم، يقتل بعضهم بعضاً، بعد أن كانوا قوَّةً على أعدائهم، كما فسحت المجال لما تلاها من الفتن والحروب الداخلية التي أودت بكيان المسلمين ووحدتهم، ومهَّدت لحكم الترك والديلم والصليبيِّين وغيرهم. وباختصار لولا فتنة الجمل لاجتمع أهل الأرض على الإسلام». محمد جواد مغنية ـ فضائل الإمام علي عليه السلام: ص ١٣٨.

الاسْتِبْدَادَ

الحلقة الثانية

لا زال الكلام حول الاستبداد، وقد تحدثنا في الحلقة السابقة عن مفهوم الاستبداد وأقسامه...

آثار الاستبداد:

يؤدي الاستبداد أينما وجد إلى التراجع في كافة مرافق الحياة ووجوهها، وإلى تعطيل الطاقات وهدرها، وإلى تقييد حركة تقدم المجتمعات، ووقف تطورها، وللاستبداد آثار سلبية كثيرة، ليس هذا المقال محل تفصيلها، ويكفي هنا الإشارة إلى الآثار التالية:

١ - آثار الاستبداد على الدِين:

الأنبياء والرسل الذين بعثهم الله سبحانه وتعالى لهداية البشرية منذ أول الأنبياء سيدنا آدم عليه السلام وحتى خاتم النبيين النبي محمد صلى الله عليه وآله جاؤوا وهم يحملون رسالة واحدة هي دعوة الناس إلى التحرر من عبودية بعضهم بعضاً، وعبادة الأوثان والأصنام إلى عبودية الله وحده لا شريك له، وتحقيق العدل والمساواة وتحريم امتهان كرامة الإنسان وسلب حقوقه وتوزيع الثروة بين الناس على أسس عادلة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾. الحشر: آية٧، وغرس المبادئ والقيم الأخلاقية النبيلة التي تحث على التراحم والتآلف بين أفراد المجتمع.

والاستبداد من حيث خصائصه وتطبيقاته يتناقض تناقضاً آلياً مع تلك المبادئ والقيم، فهو يصادر الحقوق ويكبت الحريات ويكرس الفرقة والتمزق والبغضاء بين أبناء المجتمع الواحد، ويحارب الأخلاق والقيم النبيلة ويسعى إلى تدميرها ولا يؤمن بمبدأ المساواة.

ومعنى ذلك أن العلاقة بين الدِين والاستبداد هي علاقة تضاد وتصادم ووجود أحدهما لابد وان يكون على حساب الآخر، وإذا ما أعدنا قراءة التاريخ والسير فسيتبين دون عناء أن الاستبداد كان وما يزال أهم العوائق والعقبات التي حالت وتحول دون تبليغ الرسالات السماوية ونشر الشرائع الإلهية، فلولا طغيان فرعون واستبداده لما واجه سيدنا موسى صعوبة في تبليغ رسالته إلى قومه، ولولا استبداد قريش وطغيان قادتها لما هاجر نبينا محمد صلى الله عليه وآله إلى المدينة وترك (مكة)، وعليه فأن الدِين ينتشر ويقوى عندما تتوفر أجواء الحرية والمساواة، ويضعف ويتراجع في الأجواء والظروف التي يسودها الاستبداد.

وخطورة الاستبداد على الدِين تبرز في عدة جوانب، فمن جانب ما من مستبد سياسي إلا ويتخذ لنفسه صفة قدسية يشارك بها الله لكي تعطيه مقام ذي علاقة مع الله، ولا أقل من أن يتخذ بطانة من أهل الدِين المستبدين يعينونه على ظلم الناس باسم الله، وهذا بطبيعة الحال يشوه صورة الدِين الإسلامي الذي رفع الإصر والأغلال وأباد الميزة والاستبداد، ويفتح المجال للبدع والخرافات وإدخال ما ليس من الدِين فيه.

والاستبداد من جانب آخر يؤدي إلى تعطيل الكثير من الفرائض الشرعية، ومنها فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي تعتبر أهم واجب ورسالة للإنسان المسلم في حياته، فمن غير المعقول القيام بمهمة كهذه في ظل حكم مستبد يكبت الحريات ويصادر الحقوق ويرفض القبول بالنصح والمشورة.

٢- الآثار الاجتماعية:

كما أن للاستبداد آثاراً مدمرةً على الأوضاع الاجتماعية وتماسك المجتمعات ومستوى تقدمها، فإن النظم الاستبدادية في الغالب تحارب العلم والعلماء وتسعى في العادة إلى تكريس الجهل والتخلف حتى لا تتنور الرعية بالعلم والمعرفة التي تساعد على توضيح ما للرعية وما عليهم، مالهم من حقوق وما عليهم من واجبات، فالعلم فيه من نور الله، وقد خلق الله النور كاشفًا للظلام ولاداً للحرارة والقوة، وجعل العلم مثله وضّاحاً للخير فضّاحاً للشر، يولد في النفوس حرارة وفي الرؤوس شهامة.

لا زال الكلام في قصة نبي الله نوح عليه السلام، وقلنا إن مسألة التوحيد والعبودية لله الواحد الأحد هي أساس دعوة الأنبياء جميعاً، وأن أول رد فعل من قبل الطواغيت واتباع الهوى والمترفين وأمثالهم إزاء إنذار الأنبياء، كيف كان وماذا كان؟!

لا شك إنه لم يكن سوى حفنة من الأعذار الواهية والحجج الباطلة والأدلة الزائفة التي تعتبر ديدن جميع الجبابرة في كل عصر وزمان، فقد أجاب أولئك دعوة نوح بثلاثة إشكالات:

الأول: إن الأشراف والمترفين من قوم نوح عليه السلام قالوا له أنت مثلنا ولا فرق بيننا وبينك: ﴿فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا..﴾، زعماً منهم أن الرسالة الإلهية ينبغي أن تحملها الملائكة إلى البشر لا أن البشر يحملها إلى البشر، وظناً منهم أن مقام الإنسان أدنى من مقام الملائكة، أو أن الملائكة تعرف حاجات الإنسان أكثر منه.

الثاني: إنهم قالوا: يا نوح لا نرى متبعيك ومن حولك إلا حفنة من الأرذال وغير الناضجين الذين لم يسبروا مسائل الحياة (وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ...).

إن قيمة الزعيم ينبغي أن تعرف ممن حوله من الأتباع، وبعبارة أخرى (إن الولي يعرف من زواره - كما يقال -) فحين نلاحظ قومك يا نوح، نجدهم حفنة من الأرذال والفقراء والحفاة والكسبة الضعاف، قد داروا حولك، فكيف تتوقع أن يتبعك الأثرياء الأغنياء الشرفاء والوجهاء ويخضعوا لك؟!

وصحيح أنهم كانوا صادقين ومصيبين في أن الزعيم يعرف عن طريق اتباعه، إلا أن خطأهم الكبير هو عدم معرفتهم مفهوم الشخصية ومعيارها إذ كانوا يرون معيار القيم

في المال والثروة والألبسة والبيوت والمراكب الغالية والجميلة، وكانوا غافلين عن النقاء والصفاء والتقوى والطهارة وطلب الحق، والصفات العليا للإنسانية الموجودة في الطبقات الفقيرة والقلة من الاشراف.

إن روح الطبقة كانت حاكمة على افكارهم في اسوأ أشكالها، ولذلك كانوا يسمون الفقراء الحفاة بالأراذل.

ولو كانوا يتحررون من قيود المجتمع الطبقي، لأدركوا جيداً أن إيمان هذه الطائفة نفسها دليل على حقانية دعوة النبي وأصالتها!

وإنما سموهم بـ(بادي الرأي) أي الذين يعتمدون على الظواهر من دون مطالعة ويعشقون الشيء بنظرة واحدة، ففي الحقيقة كان ذلك بسبب أن اللجاجة والتعصب لم يكن لها طريق إلى قلوب هؤلاء الذين التفوا حول نوح عليه السلام لان معظمهم من الشباب المطهرة قلوبهم الذين يحسون بضياء الحقيقة في قلوبهم، ويدركون بعقولهم الباحثة عن الحق دلائل الصدق في أقوال الأنبياء عليهم السلام وأعمالهم.

الثالث: أنهم قالوا: بالإضافة إلى أنك إنسان ولست ملكاً، وأن الذين آمنوا بك والتفوا حولك هم من الأرذال، فإننا لا نرى لكم علينا فضلاً ﴿وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾. هود: آية ٢٧.

جواب النبي نوح عليه السلام:

القرآن الكريم يبين رد نوح عليه السلام وإجاباته المنطقية على هؤلاء حيث يقول: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾. هود: آية ٢٨.

وهذا ما سوف نتكلم عنه بشكل مفصل في الحلقة القادمة.

الساعة المفقودة

اكتشف مزارع ذات يوم أنه فقد ساعته اليدوية في مخزن الحبوب. كانت تلك الساعة غير عادية إذ أنها ذات قيمة عاطفية خاصة بالنسبة له.

بعد تفتيشه وتنبيشه في التبن لمدة طويلة ولم يعثر على شيء توجه طالباً مساعدة مجموعة من الفتية الذين كانوا يلعبون ويمرحون بالقرب من المخزن.. ووعد بمكافأة لمن سيعثر عليها.

أسرع الفتية وأخذوا بالبحث الحثيث عن الساعة في كل ركن وزاوية ولكن دون جدوى!

وعندما كان المزارع على وشك الاستسلام واليأس من إيجادها تقدم فتى صغير منه طالباً منحه مهلةً أخرى للبحث. ألقى المزارع نظرة على الفتى وقال في نفسه: لمَ لا؟ يظهر أنه جاد.

وهكذا بعث المزارع الفتى لمخزنه، وبعد وقت قصير عاد الفتى والساعة بيده.

فرح المزارع وبدت عليه علامات الدهشة فسأل الفتى: كيف نجحت في هذه المهمة في حين فشل أقرانك الآخرون؟

ردّ الفتى قائلاً: – لم أعمل شيئاً سوى الجلوس على المصطبة وإرهاف السمع.

في مثل ذلك الجو من الهدوء والسكينة تناهت إلى مسامعي تكتكات الساعة.. فقمت وبحثت عنها في ذلك الاتجاه فوجدتها!

وقفة:

– في كثير من الأحيان نحتاج إلى الهدوء والسكينة والإنصات بمهارة لنستطيع سماع صوت من نحبهم واحتواء بَعضنا، والقضاء على خلافاتنا وتعدد آرائنا بقليل من هذه المهارات التي منحها لنا الخالق في هذا الكون.

– ويزيد هذه الصفات جمالاً وبهاءً ما ذكره الخالق عزّ وجلّ في كتابه العظيم عن متقني هذه المهارة حين أثنى عليهم بقوله: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾. الزمر: ١٨ .

– تذكر دائماً أن من لا يتقن فن الاستماع في الغالب الأعم لا يجيد فن الحديث.

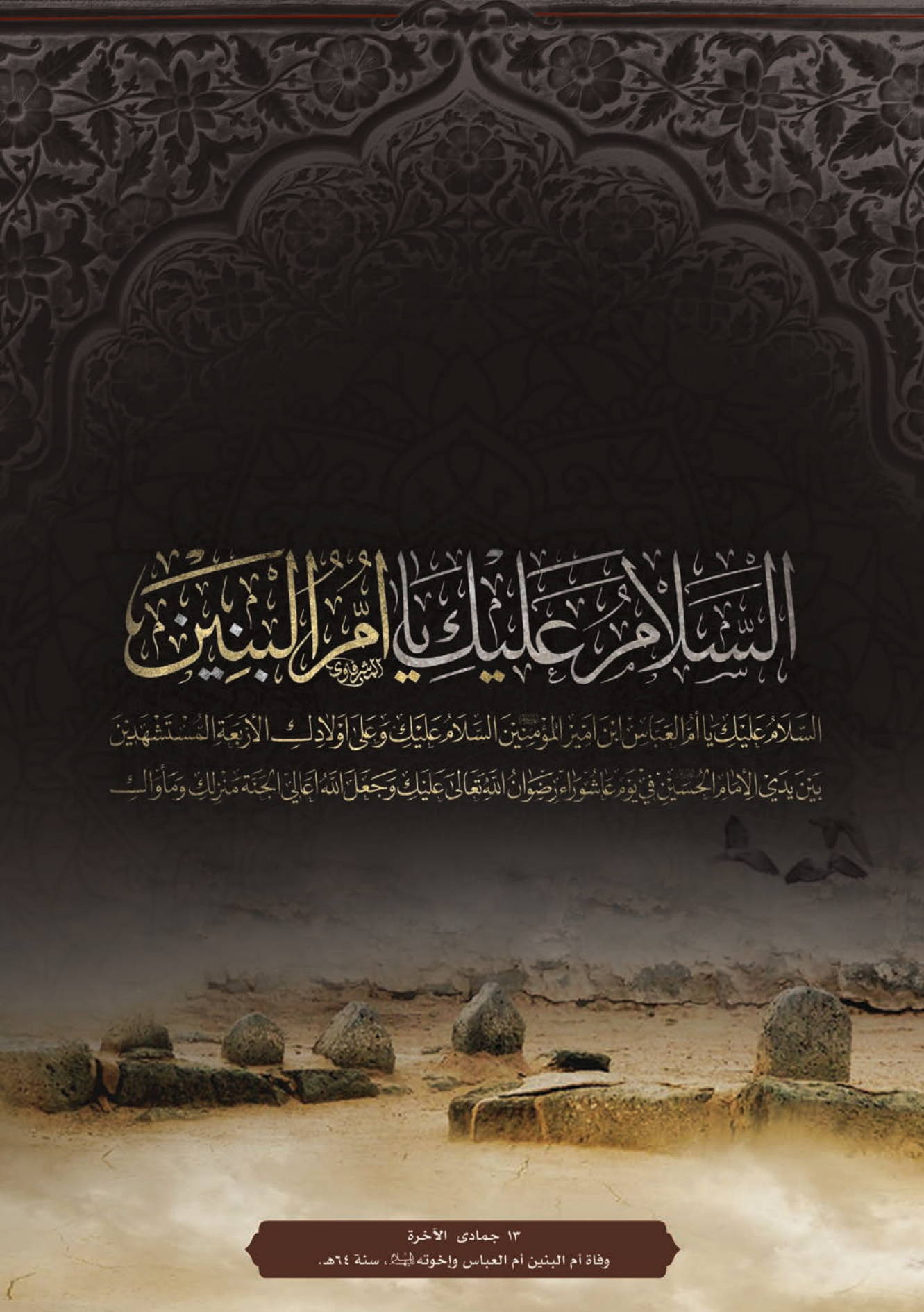
السلام عليك يا أم البنين
الشريفة الوفية
السلام عليك يا أم العباس ابن أمير المؤمنين السلام عليك وعلى أولادك الأربعة المستشهدين
بين يدي الإمام الحسين في يوم عاشوراء رضوان الله تعالى عليك وجعل الله أعالي الجنة منزلك ومأواك
١٣ جمادى الآخرة
وفاة أم البنين أم العباس وإخوته عليهم السلام، سنة ٦٤هـ.

٢٠ جمادى الأخرة

ولادة سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، سنة (٨ قبل الهجرة)